



اللهجات العربية (*)

المركزور إبراهيم أنيس

الأستاذ المساعد بدار العلوم

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

ما من شك أن أستاذنا الدكتور أنيس قد بذل مجهوداً عظيماً في كتابه اللهجات العربية ، وحاول مشكوراً تطبيق ما تخصص فيه من علم الأصوات الحديث على ما ورد إلينا من اللهجات العربية وسيجد القارئ تبويباً مرتباً وتسلسلاً مرتباً في عرض واضح لفكرته التي يسوقها وهو يكاد يقنعنا بموافقة على آرائه وقد أبدع في أغلب فصول كتابه الستة ودل - كما نهدى - على علم فياض وإذا جاز أن تكون العادات والتقاليد في جميع العالم خاصة لناموس واحد ، جاز اننا أن نقرر جميع اللهجات العربية على الخوض لما استنتجته الأوربيون من دراستهم للهجاتهم وأصواتهم ولكن ما أحسب أن المراميل التي أثرت في التقاليد الإنجليزية مثلاً تتفق مع المراميل التي أثرت في التقاليد العربية تمام الاتفاق فليست البيئة كالبينة وكذلك في اللغة ليست الحروف في أكثرها كالحروف وإذا كانت نظرية الطب أن سوء التغذية مثلاً يسبب ضعفاً عاماً فليس كل ضعف عام في الطب يرجع إلى سوء التغذية ولكن الظاهرة التي لاحظناها في كتاب أستاذنا هي وجوب إخضاع اللهجات العربية بدون قيد ولا شرط لما قرره علم الأصوات الحديث فإذا وجدنا بعد البحث أن كثيراً من الظواهر العربية في لهجاتها غير منطبق على ما قرره طبعاً في رواية الرواة مهما بلغت من القوة .

في رأي أن هذا الاتجاه غير مستقيم ، فليس من العدل أن أفرض النظريات فرضاً ، وإنما العدل أن أدرس وأستقصى

(*) ١٨٤ صفحة طبع مطبعة الرسالة

ثم أحاول استخلاص قواعد غالبية غير مكثف يمثل أو بضعة أمثلة . ولكنه كما قدمت جعل نظريات علم الأصوات الحديث قضايا مسلمة تنطبق على اللهجات العربية تمام الانطباق ، مع أن النظريات الهندسية لا تنطبق فيها كل مثلين إلا إذا تساوى في الفرض سلمان والراوية المحسورة بينهما أو زاويتان ومنح . كما أن الطب إذا وجد أغراضاً حاول أن يطبق عليها علمه السابق فإذا وجد فيها نوعاً من المغايرة بحث عن الأسباب ودرسها لا أنه ينكرها أو يخضعها بالقوة للمعاملة .

أول ما بطالك كتاب اللهجات العربية في مقدمته وتشكره في ص ٣٢ : « ولنا نعلم مؤلفاً من علماء العربية على وفرتهم واهتمامهم بكل دقائق الدراسة اللغوية عن اللهجات العربية عناية خاصة فأفرد لها كتاباً مستقلاً » لو أنه قال لم يصلنا مما ألفه علماء العربية كتاب مستقل باللهجات لكان عملاً لكن إنكاره عليهم العناية باللهجات العربية حكم جائر ، ولقد رجعت إلى كلمة كتبها في كراسي (١) من زمن فوجدتني كتبت منها ما يأتي : وليس أفراد كتاب في لغات العرب بالأمر المستحدث ، فقد كتبت في هذا الموضوع مصنفات أفردها أعلام العربية بالتأليف ، وأول من أفرد كتاباً في لغات العرب هو يونس بن حبيب ونسج على متواله الأصمى وأبو زيد الأنصاري وأبو عبيدة وجري على نهجهم أبو عمر الشيباني والقراء ثم ابن دريد وغيره ، إلا أن أيام الشفاء في بغداد والعراق التي جلبها المنول إليها كانت أشد شقاء على العلم والأدب فنبذت أيديهم بما أنتجت القرائح الفذة وأنت على مجهود كثير من العلماء الأعلام ، فلا يوجد بين أيدينا - فيما أعلم - كتاب يفرد بلغات العرب ، وقد قرأ هذه الكلمة أستاذنا المرحوم الحارم بك أيام أن كان عميداً بالنيابة لدار العلوم منذ ثمانية أعوام ، وفيها يحطه لفظان بالقلم الأحمر عدلها . أرجو أن يراجع الدكتور تراجم من قدسهم وغيرهم في كتاب ابن خلكان ومجمع الأدباء ، وسيجد أنهم عنوا باللهجات العربية عناية خاصة وأفردوا لها كتباً مستقلة ، ولكنها مع الأسف لم تصلنا ، وقد نكون مخنفة في ثنايا مكتبات العالم تنتظر من يخرجها .

في ص ٤٢ « ولكن الذي قد يدعو إلى الدهشة أن قراءة

(١) أردت بها أن تكون مقدمة لكتاب لي عن اللهجات جامع لما

أبي عمرو وتلميذه يعقوب لم تنتصر للإمالة إلا في مواضع خاصة نعت عليها كتب القراءات ، وادل الصراع العلمي الذي كان بين انكوفة والبصرة هو الذي دعا إلى أن تتخذ البصرة طريق الفتح في معظم المواضع حتى لا تشبه الكوفة في إمالتها ...

حقيقة أن يعقوب لم ينتصر للإمالة إلا في مواضع خاصة ، أما أبو عمرو فهو من الذين انتصروا للإمالة ومن الكثيرين فيها — تراجع انحاف البشر — غاية ما في الأمر أن الإمالة قد بان كبرى وهي التي تسمى الانحجاج والبطح ، ومتوسطة وتسمى التقليل والتلطيف ، وأبو عمرو يميل إمالة كبرى تارة ويميل إمالة متوسطة مرة أخرى ، ولكنه على كل حال من القراء الكثيرين في الإمالة ، أما أن الصراع العلمي الخ فقيه نظر حيث إن القراءة سنة مشيئة تؤخذ بالتلقين والرواية لا بالشه والهموى ، وقد يخالف القارى من حوله لتلقيه من شيوخ آخرين متأثراً بما تلقاه عنهم ، ولهذا لم يكن من الغريب أن عاصمًا خالف الكوفيين في إمالتهم لأنه قال لخصص : ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي . والقراءة التي أقرأتها أبا بكر بن عياش هي القراءة التي كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود .

في ص ٤٦ في مثل الفعلين باع ، وقال يظهر أنه قد أتى عليهما حين من الدهر كان ينطق بهما يبع وقول بفتح فسكون ثم تطور الصوت الأول « ai » إلى « c » والصوت الثاني « aw » إلى « o » ثم تطور إلى « a » أي أنت فتحة باء الكلمة في الفصل الأول قد أسبغت إلى الكسرة وفي الفصل الثاني قد أسبغت إلى الضمة — وحقه أن يقول نعمت لأن هذا هو الاصطلاح كما في النشر وكتاب سيويه ومفصل الزمخشري — ثم تطورت الإمالة إلى الفتح باع وقال « .

إن الدليل على أنه أتى عليهما حين من الدهر كان ينطق بهما يبع وقول مع أن الأفعال الماضية الصحيحة وهي الأكثر متحركة الوسط ويقاس على وزنها الأجوف ولم تكن مثلاً من أول أمرها قال وباع والتلفظ يقول بابا ومما من أول الأمر وهل اللفظ الإنجليزي made كان أصله maid ثم تطور فصار made وأنه ينتظر تطوره إلى mad التي بمعنى آخر محافظاً على معناه وهل لفظة sad مثلاً كانت said ثم تطورت إلى sade ثم صار أخيراً sad حيث يقول لنا في ص ٤٧ تلك هي المراحل التي تبرزها القوانين الصوتية ، وهل لفظة home كانت haum ثم

تطورت إلى home وستصير مستقبلاً ham وأرجو ألا يحتج على يمتل write وماضها wrote لأن الأول مضارع والثاني ماض ، وإلا فهت أن الأول كان يستعمل الماضي أولاً ، ومع ذلك فهل سيصير مستقبلاً rat بالمعنى الأصلي لا للمعنى الحالي ، ثم ما قوله في الشعر الآتي :

ليت وهل ينفع شيئاً ليت ليت شيئاً بوع فاشترت
و : حوكت على نيرين إذ نحاك تحنيط الشوك ولا تشاك
في ص ٥٢ ثم قسموا الإدغام إلى كبير وهو الذي فيه ينسل

بين الصوتين الساكنين صوت لين قصير « أي حركة » وقد نسب الإدغام إلى أبي عمرو بن العلاء ، وهذا النوع من الإدغام يتطلب عمليات صوتية معقدة قيل أن يتحقق .. أما النوع الثاني للإدغام عند القراء فهو الإدغام الصغير وفيه يتجاوز الصوتان الساكنان دون فاصل من أصوات اللين وهو الذي شاع في معظم اللغات لأن شرط تأخر صوت متأخر هو التناؤما التناؤماً مباشراً «

أما أن الإدغام الكبير يتطلب عمليات صوتية معقدة قبل أن يتحقق ففيه نظر لأنه لا فرق بين الصغير والكبير إلا أن الكبير يكون فيه الثلاثان أو التجانسان أو المتفاوتان متحركين مثل : لذهب بسمعهم ويشفع عنده . والصغير يكون أولهما ساكناً مثل : اضرب بصمك واذهب بكتاني ، أما شروط تأخر صوت متأخر هو التناؤما التناؤماً مباشراً ففيه نظر أيضاً لأن كلمة صراط ومسيطر وبسط وغيرها تأخرت السين بالطاء فقلت صاداً أو أنتجت قرياً صراط ومسيطر وبسط الخ وقرى بعضها بالإدغام وكلاهما قراءات صحيحة مسموعة وليس الانتفاء فيها مباشراً بل فصلت بينها أصوات ساكنة وأصوات لينية .

ص ٥٧ « على أنه قد روي أيضاً أن بعضاً من تميم يقابلون الهمزة الساكنة إلى صوت لين من جنس حركة ما قبلها فيقولون في رأس ويثر وشؤم على الترتيب راس ويير وشوم » .

لقد نقل هذا الخطأ عن حفي ناصر بك فليس هناك كتاب ينسب إلى تميم أو بعضها تسهيل الهمزة ، لأن التميميين أحرم العرب على النبر وذلك بإجماع كتب اللغة ، فمن أين جاء به وكيف تجمع للقبيلة بين متناقضين ؟ وقد يجاب أن أبا عمرو التميمي كان يسهل كثيراً من الهمز في قراءته ولكن الجواب قد قدمته في مقال المنشور بالرسالة في العدد ٨١٣ عن أبي عمرو وهو أنه تأخر بشيوخه المجازيين وهم أكثر من أخذ عنهم ، وكانت نشأة أبي عمرو الأولى في مكة والمجاز .

ص ٦٣ ذكر ما اختلفت فيه القبائل من جهة الإعراب

وأورد .. ليس الطيب إلا المسك وما الحجازية وإن الناقية وكم
الطبرية - مع ملاحظة أنه وضع علامة استفهام بعد أمثلة كم
الطبرية ولعله سهو - وأهل الجربها ومتى .. الخ ثم قال في ص
٦٥ «والحق أن هذا النوع من الاختلاف الإعرابي لا يمت للهجات
المرية بصفة ، وإنما هو من صناعة النحاة حين اشتد الجدل بينهم
فلم تكن لهجات الكلام عند القبائل تلزم الإعراب على الصورة
التي رويت لنا في كتب النحاة ، وإنما التزم الإعراب على تلك
الصورة في اللغة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم ونظم الشعر»
ثم قال في ص ٦٦ «وإلا فكيف يتصور من الناحية الصوتية أن
لساناً يعجز عن نفس خبر ما أو نصب اسم لعل أو جر تعجز كم الطبرية »
ومعنى قد نعلم أولاً - جدلاً - أن هذا من صنع النحاة
فكيف رضى في صفحة ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ أن يعتبر صنع النحاة
يمت للهجات المرية حين يقول إن القبائل البدوية تميل بوجه عام
إلى الضم واستشهد له ص ٧٣ بورود : «يأيه الناس ومعنى الذين
صبحوا الصبا ما وأن بني تمم يعربون أمس . فكيف تصورنا هنا
أن لساناً يعجز عن يأيه الناس ومعنى الذين وبناء أمس على الكسر
أم أننا حين نقرر نظرية نسكر وحين نقرر نظرية أخرى ثبت ؟
ومع ذلك فإن هذه الاختلافات الإعرابية التي نسبتها إلى صنع
النحاة قد جاءت في القراءات والشعر ، فقد قرأ ابن مسعود :
ما هذا بشر ، قرى في رواية المفضل عن عامر : ما هن أماتهم
بالرفع . وورد في الشعر :

أهل أبي الفوار منك قريب متى لجج خضر لمن نبيج
فلا معنى لأن نكذبهم في كثير ونصدقهم في قليل بدون مبرر
ص ٧٠ «القبائل البدوية تميل إلى الأصوات الشديدة في
حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات
الشديدة بوجه عام ، فالباء والثاء والفاء والكاف وغيرها من
الأصوات الشديدة قد نسمها في أفواه المتحضرين : فاه . سينا .
زايكا . شينا . على الترتيب » أما أنا فأعترف أنني لم أسمع أحداً من
المتحضرين يفضل ذلك ، وللسنا نسمع في المستقبل من ينطق
جلة : بركت دابتك هكذا : فرش زافسين ، وجلة بنيت بيتي
عندكم هكذا : فيس فيس عزشم ، وحينئذ نتقل بالتحضير إلى
الطلاقة .. أما إذا كان تصدء بالثاء والفاء والذال وحدث خطأ
مطبعي فأقول أيضاً إن الثاء حالياً تنطق تاء . توب . ثلاثة . تور .
رُتبان .. الخ والذال تنطق دالا : دهب . ديب . ديل .. الخ
ومع ذلك تبقى الباء والكاف فنسمع جلة بشنك ما في ذاكرتي

هكذا فستش ما في ذاكرتي .

ص ٨٦ «أجمع الرواة على نسبة صفة خاصة لقبائل ربيعة
سورها أحياناً بالكشكشة وحيناً آخر بالكسكة ... ثم قال
ومعنى حين ننظر إلى هذه الروايات على ضوء القوانين الصوتية
نستطيع أن نستخلص أموراً :

- ١ - أن الكسكة بالسین لا وجود لها في اللهجات المرية
- ٢ - أن الكشكشة مقيدة بكاف مكسورة ..
- ٣ - ليست الكشكشة مقيدة بحالة الوقت .
- ٤ - لا بد في الكشكشة أن تحمل الشين على الكاف .
- ٥ - أن ما خيل للقدماء أنه شين ليس شيئاً خالصاً -

وأراد حرف « تش ch » ثم يقول وهذا الصوت هو نفس
ما سمع القدماء في تلك الظاهرة ، ثم نقل حفصي ناصف أن لهجة
بلد شرودة وزنكاون وما حولها من مديرية الشرقية يحملون
الكاف كالتين في مثل الكلمتين : كلب وكتاب . ثم يقول :
« وعلى هذا فلا شك أن أهل شرودة وزنكاون ينطقون بكلمة
كلب على أنها مكسورة الكاف ... »

إن أغلب الرواة والكتب القديمة والحديثة يقررون الكشكشة
بالكسكة ولا يفردهما . واختلافهم إنما هو في نسبة كل
منهما إلى القبيلة - انظر الصاحبى والناموس وشرحه ولسان
العرب والصحاح وكافية ابن الحاجب والأشموني وخزانة الأدب -
وليس كل منهما قد نسب منظم الرواة إلى قبيلة واحدة فقد نسب
إلى تميم وإلى أسد ، وإلى هوازن من تيس ، وإلى بكر من ربيعة
وإلى مضر عموماً شاملة تيمناً وتيساً وأسداً ، وإلى ربيعة عموماً
شاملة بكراً وتغلب . ومن مجموع هذه الروايات يتبين أن
الكشكشة والكسكة موجودتان . على أن الدكتور أنيس
في قسم الترادفات ص ١٤٥ ذكر أنه قام بجمع عشرات من
الكلمات مع ذكر العلاقة الصوتية بينها ، وما ذكره ص ١٥٢
تحت اختلاف المخرج : الرعس والرعى . والنبس والنبيش . الخ
كما أننا نجد كثيراً من الأطفال وبعض الكبار يحملون الشين
سيناً . فإنكار الكسكة ليس له ما يبرره بل يجب أن ندرسها .
أما أن الكشكشة مقيدة بكاف مكسورة وإزام أن يكون أهالي
شرودة وزنكاون وما حولها من مديرية الشرقية ينطقون بكلمة
كلب على أنها مكسورة الكاف فهو إزام بدون ملزم إذ ليس من
ذكرهم يكسرون الكاف في كلب ولا كون ، ولم يقل ذلك من
نقل عنه مع أنه نقل كسر أول الضارع في موضوع آخر تحت

ولو أنه اكتفى بالمثل دون التليل لكان أحسن لأن أبا هريرة أسلم سنة سبع من الهجرة وسورة يوسف نزلت قبل الهجرة ولو قال قبل سماعه سورة يوسف لكان أدق .

ص ١٤٠ ذكر أن رجلاً ذهب إلى أحد ملوك اليمن فأطلع إلى سطح والملك عليه فلما رآه الملك اختبره فقال له ثب ... الخ ولست أدري سبب زيادة « اختبره » لأن القصة وسؤال الملك ما شأنه وإجابة الحاضرين وقول الملك ليست عربيتنا كعربيتهم تنفي أنه اختبره .

ص ١٦٦ « لقت الشيء بمعنى كتبتة في لهجة عقيل وعمني نحوته عند قبائل قيس » مع أن عقيلاً من قبائل قيس ولو قال عند بقية قبائل قيس لكان أفضل .

لقد أعجبنى كل الإعجاب تحليله في الإمامة ووصوله في ص ٤٧ ، ٤٨ إلى أن الكلمات التي أصلها يأتي تكون الإمامة فيها هي الأصل ويكون الفتح تطوراً والحجازيون قد قتلوا مرحلة في تطور لهجته . وإن الإمامة لأجل الحركة في مثل كتاب وهي التي كان فيها الكسرة للانجاء بين أصوات اللين يكون أصلها الفتح وتكون الإمامة تطوراً إلى مرحلة الانجاء . وكنت أنتظر أن يحكم بعد هذا بأن الحجازيين يميلون للألف لأجل الكسرة لأن النظرية التي قررها سليمة وهي نظرية السهولة والاقتصاد في الجهد المضل نتيجة إليها القبائل المتحصرة ولكنه لم يصفه الدليل فقال ص ٦٩ « أما من تكون الإمامة نتيجة انجاء بين أصوات اللين كما في إمالة نحو كتاب فذلك صفة اختصت بها القبائل البدوية وقد سبقت فيها القبائل المتحصرة » ولو رجع إلى الجمع مثلاً لوجد النظرية صحيحة إذ نص على أن الحجازيين يميلون للألف لأجل الكسرة . ولاستغنى عما قاله ص ٦٩ فناقض به نظريته الصحيحة .

إنني أكتفي بهذا القدر وأعتقد مع ذلك أن كتاب اللهجات العربية قيم في أبحاثه جميل في عرض موضوعاته وإنني إذ أتقد كتاب أستأنفني فأنا أعطي حق العلم أيضاً ولكل إنسان رأيه وبخاصة أنه كتاب نشر على الناس وأصبح من حق الجميع أن يقرأه كنت على حق فيماذا النظر فيما تقدمه وإنما كنت غطائاً أو لم أفهم بعد فبردتى ونؤلف والقراء مع رجائي ألا يكون علم الأصوات الحديث هو كل شيء في الرد وبخاصة ما استنبط بمقارنة التستكرينية باللاتينية واليونانية مع التليل المقول لما عارضت به .

عبد الستار أحمد فرج
محرر بالمجمع القدي

ملاحظة أخرى . على أن اللهجات العامية فيما كان على وزن فعال وفعال بضم الأول أو كسره ككتاب وحصان وبساط وغراب وصداق يسكنون فاه الكامة فيقولون كتاب وغراب وذلك البدء بالسكن موجود في اللغات الأخرى Flag brass كما أن حرف تش ch ينطق في كثير من لغات « charm chap chant chaff char » . والرواة لم يقيّدوا الكشكشة بحالة الوقف ، بل قالوا من الناس من يجري الوصل يجري الوهم ورووا فيمنش عيناها وبيش اللهم لبيش ، وعلى فيها ابتي ابيش . الخ ما رواه الدكتور نفسه في صفحات ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ، أما ما استخلصه تحت رقم ٤ فيناقضه ما هو منتشر في اللهجات العامية الآن — ولندع قول القدامى فإنه يناقضه أيضاً — من أنهم يلحقون شيئاً آخر الكلام في النفي والاستفهام التقريري سواء كانت هناك كاف أم لم تكن في وصل الكلام ووقفه فيقولون يا فلان ما تلبش وماقابلنكش وسافرش فلان ؟ ونحن وإن كنا نستطيع إرجاع الشين في بعض الأحوال — ما عدا الاستفهام وما آخره كان خطاب — إلى لفظة شئ مثل ما تلبش أصلها لا تلب شيئاً ، ثم ضاعت الحركة الإعرابية والتنوين بفعل العامة فصارت : ما تلبشي أو ما تلبش ، إلا أننا لا يمكن أن نرجعها في مثل : سافرش فلان ؟ وما سمعتكش تتكلم إذ لا يؤدي اللين المقصود قولك أسافرشي فلان ؟ وما سمعتك شيئاً تتكلم إلا بتكاف ونجوز بييد ، ولهذا ترجع أمثال ذلك إلى التوسم في لهجة ربيعة ومضر . وعلى كل حال فهنا صوت آخر اتصل بصوت سابق .

ص ١٢٨ كل لهجة من اللهجات أو مجموعة منها قد الترمت اشتقاق المضارع من الماضي الثلاثي على هيئة خاصة ولا نشذ فيها إلا في النادر .

ولقد كتبت في الرسالة في العدد ٨٠٥ مبيناً خطأ ذلك ولا داعي لتكراره على أننا في لهجاتنا العامة لا نسير على نظام واحد في اشتقاقنا تقول يكتب ويرسم وينسج ... الخ بكسر التاء ونقول يرطن وينتر ... الخ بضم التاء ويحلم ويلعب .. الخ بفتح التاء وكل هذا مما له أوزان في النصحى قد توافق العامة وقد لا توافقها . أما الإمامة والتسهيل ونحوها فذلك من المادة الثنوية التي لا تشذ عنها الجماعة المرتبطة والبيئة التنقة .

ص ١٣٩ روى أن أبا هريرة لم يبرف المقصود من لفظة السكين لأنها في لهجته تسمى المدبة ثم قال : ولعل هذه الحادثة كانت قبل نزول القرآن الكريم بلفظ السكين في سورة يوسف